أحمد قوبيلي بن موسى

يقول الله تعالى في سورة الأنعام:(الحمدلله الّذي خَلَقَ السّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظّلُمَاتِ وَالنّورَ ثُمّ الّذِينَ كَفَرُوا بِرَبّهِمْ يَعْدِلُونَ) (الأنعام: 1)

ـ يقول الطبري ـ رحمه الله ـ في تفسيره للآية الكريمة:

الحمدلله الذي خلق السماوات والأرض, يعني الحمد الكامل لله وحده لاشريك له دون جميع الأنداد والآلهة والحمدلله الذي أظلم الليل وأنار النهار.. قال الظلمات ظلمة الليل والنور نور النهار.

وقال أيضا، الحمدلله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور, أي إن الله تعالى خلق السموات قبل الأرض والظلمة قبل النور والجنة قبل النار... ولم يشر رحمه الله إلى سبب ذكر الظلمات بصيغة الجمع والنور بصيغة المفرد.

ونجد في تفسير الجلالين مايلي:

الحمد هو الوصف بالجميل ثابت لله، وهل المراد الإعلام بذلك للإيمان به أو الثناء عليه أو هما معا... احتمالات أفيدها الثالث.

وقال (وجعل الظلمات والنور) أي كل ظلمة ونور وجمعها دونه لكثرة أسبابها وهذا من دلائل وحدانيته. (ثم الذين كفروا) رغم قيام هذا الدليل (بربهم يعدلون) أي يسوون غيره في العبادة.

ويقول سيد قطب ـ رحمه الله ـ في ظلال القرآن: إن الآية الأولى من سورة الأنعام تذرع الوجود الكوني, والآية الثانية تذرع الوجود الإنساني... ثم تحيط الألوهية بالوجودين كليهما الآية الثالثة. ولم يشر أيضا ـ رحمه الله ـ إلى سبب ذكر الظلمات بصيغة الجمع والنور بصيغة المفرد.

وأما سبب عدم قيام المفسرين ـ رحمهم الله ـ بذلك، فلأن الآية الكريمة تضم حقيقة كونية لم يتوصل إليها العلم إلا في القرن العشرين. ذلك أن المتمعن في ما توصل إليه العلماء في هذا المجال وفي تفسيرهم للنور والظلام سيجد العجب.

المحقيقة العلمية:

يقول العلماء: إن العالم الذي نعيش يشتمل على عدد هائل جدا من الموجات والذبذبات التي هي في الواقع موجات كهرومغناطيسية مغناطيسية وموجة كهربائية موجة :موجتين من مكونة بكونها تتميز الموجات هذه ,Ondes ctromagnetiques.

الموجة الكهربائية متعامدة مع الموجة المغناطيسية أي إن بينهما زاوية 90° وأنهما تتنقلان معا على شكل مستقيم.

تتميزكل موجة كهرومغناطيسية بـ:

 طول الموجة، ويقاس بالمتر (m: mre) onde'd Longueur

 ترددها، ويقاس بالهرتز onde'l de Frquence (HERTZ)

التردد هو عدد الموجات في الثانية الواحدة, وبالتالي كلما كانت الموجة قصيرة ارتفع ترددها.

و هكذا نجد أنواعا متعددة من الموجات الكهرومغناطيسية، وكل منها يتميز بخصائص نلخصها في ما يلي:

 الموجات القصيرة جدا التي يقل طولها عن m 10-13 وتسمى الأشعة الكونية COSMIQUES RAYONS وهي تستطيع اختراق المادة دون أن تتفاعل معها لذلك يصعب الكشف عنها. هذه الأشعة تستعمل للتعقيم STERILISATION وفي التصوير الطبي. وهي غير مرئية.

 نجد أيضا الموجات ذات الطول المحصور بين. m 10-13 و m 10-10 وتسمى الأشعة GAMMA وهي أيضا غير مرئية.

تأتي بعد ذلك الأشعة السينية X RAYONS. وطول موجتها يتراوح بين. 10-10 m و10-18 m وتستعمل في المجال الطبي لتصوير العظام والكسور وهي أيضا غير مرئية.

أما في المجال 10-8 m و 4.10-7 m فهنالك الأشعة فوق البنفسجية VIOLETS ULTRA RAYONS (UV) التي تستعمل للتعقيم في غرف العمليات الجراحية وهي المسؤولة عن تغيير لون جلد الإنسان عندما يتعرض للشمس BRONZAGE كما أنها أيضا غير مرئية.

أما المجالات الضوئية التي تستطيع العين البشرية رؤيتها فهي فقط التي تنتمي إلى المجال 4.10-7 m -7.10-7 m وتكون الأشعة المرئية VISIBLE LUMIERE جميع الألوان المعروفة تنتمي إلى هذا المجال.

تأتي بعد ذلك موجات غير مرئية طولها أكبر من 7.10-7 m واصغر من 10-4 m وتسمى الأشعة تحت الحمراء ROUGE INFRA RAYONS (IR) وهي التي تكون الحرارة. هذه الموجات يمكن الكشف عنها بواسطة كاميرات خاصة تسمى الكاميرات الحرارية THERMIQUES CAMERAS

أما الموجات ذات الطول المحصور بين 10-4 m و1m. فتكون الموجات القصيرة ondes-Micro. وهي تستعمل لطهي الطعام في بعض أنواع الأفران وإما لتوجيه الطائرات بواسطة الرادارات Radars.

أخيرا نجد موجات الراديو radio ondes وطولها أكبر من 1 m وأصغر من 106 m هذه الموجات يعمل بها الراديو والتلفزيون وتستعمل كذلك للتنقل في المجال الجوي، وهي مثلها مثل باقي الموجات السابقة، غير مرئية ولا تستشعرها العين البشرية وتكون اللون الأسود.

وهكذا يمكن أن يكون المجال المرئي في الكون الذي خلقه الله تعالى بقدرته وعلمه، يشير إلى النور (بصيغة المفرد) وهو لا يشكل إلا نسبة ضئيلة جداً من المجال غير المرئي الشاسع جدا والذي يظهر على شكل لون أسود وهو المعبر عنه بـ (الظلمات) (بصيغة الجمع).

لذلك يمكن أن يكون النور الذي ذكره الله تعالى بصيغة المفرد والظلمات التي وردت بصيغة الجمع في كل آيات القرآن الكريم التي ورد فيها ذكر الظلمة والنور إشارة إلى المجال المرئي والمجالات غير المرئية للموجات الكهرومغناطيسية...

والله أعلم.

فسبحانك ربي كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك.

قال الله تعالى:

(الحمد لله الّذي خَلَقَ السّمَوَاتِ وَالمَأَرْضَ وَجَعَلَ المظّلُمَاتِ وَالنّورَ ثُمّ الّذِينَ كَفَرُوا بِرَبّهِمْ يَعْدِلُونَ) (الأنعام: 1).

و قال تعالى :

(لَخَلْقُ السّمَوَاتِ وَالمَأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النّاسِ وَلَكِنّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَمُونَ) (غافر: 57).